معينات الثبات على الحق في سورة الكهف دراسة تحليلية موضوعية

د. سمية عمر حميدة عبد الله[1]

DOI: https://doi.org/10.52981/jfsl.v12i1.2192

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وسلم تسليماً؛ ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ الكهف: 17] وأصدق الكلام كلام الله عزّ وجل، وخير الهدي هدي محمد عليه السلام، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ومن الجهل والحيرة، ونسأله تعالى الهدى والتوفيق لما يرضيه، آمين.

فإن من أشرف العلوم علم تفسير القرآن, وإنما تشرُف العلوم بموضوعها. وموضوعه القرآن الكريم الذي لا يخلق على كثرة الرد, ولا تنقضي عجائبه, ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه, وقد أنزلَ الله سبحانهُ وتعالى القرآن لأهداف سامية ،وقيم رفيعة منها ما ورد في سورة الكهف مما يعين الفرد على الثبات وتضمنت السورة الكريمة القيم العظيمة التي ينبغي تفهمها وإدراك معانيها, وأهميتها في استقامة المسلم في أي مجتمع من المجتمعات، وقد استنبطت هذه القيّم أثناء قراءتي للسورة وتدبر حديث النبي صلى الله عليه وسلم في فضلها.

أهمية الموضوع تكمن في أمور منها:

– وضع المجتمعات الحالية التي يعيش فيها المسلمون، وأنواع الفتنوالمغريات التي بنارها يكتوون، وأصناف الشهوات والشبهات التي بسببها أضحىالدين غريباً، فنال المتمسكون به مثلاً عجيباً (القابض على دينه كالقابض علىالجمر) .

– أن حاجة المسلم اليوم للثبات أعظم من حاجة أخيهأيام السلف والجهد المطلوب لتحقيقه أكبر.

– كثرة حوادث الردة والنكوص على الأعقاب، والانتكاسات بين المسلمين؛مما يحمل المسلم على الخوف من أمثال تلك المصائر، ويتلمس لها وسائل الثباتللوصول إلى بر آمن.

– إنّ هذه المعينات تصلح السرائر ، وتجمل الظواهر، وبها يخاصم الإنسان نفسه إذا دعته إلى أمر لا يجب أن يعمله.

أهداف البحث :

- من الأهداف لهذا البحث التعرف على أهداف السورة و محورها الذي تدور عليه آياتها من خلال استعراض معينات الثبات الأساسية التي تناولتها السورة.

---

1 الأستاذ المساعد بجامعة أم درمان الإسلامية/ كلية أصول الدين، وبجامعة القصيم/ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية/ قسم القرآن وعلومه/ الإيميل sumayaomer971@hotmail.com –00966500255685

- بيان الحكمة من قراءة السورة كل جمعة، وارتباطها بما يعين على الثبات.
- النظر في مراتب معينات الثبات وما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الوسائل التي تعينه على الثبات.
- بيان أثر تلاوة القرآن في ثبات الفرد على الحق.
- بيان أثر الصحبة الصالحة في الثبات على الحق.
- توضيح الآيات التي تناولت العمل الصالح في السورة الكريمة ، وأثره في المجتمع.

منهج البحث:

اتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي بتتبع أراء أهل العلم في تفسيرهم للآيات الدالة على معينات الثبات على الحق من خلال السورة الكريمة، وتحليل أقوالهم وبيان المعاني التي اشتملت عليها معينات الثبات.

وأما خطة البحث تحتوي على مقدمة وقد اشتملت على أهمية الموضوع وسبب اختياره والمنهج المتبع فيه، وتمهيد ، ويحوي على ستة مباحث، وخاتمة ، وفهارس ، وقد رتبت المعينات وفق ما ورد في الآيات، وقمت بدراستها في جميع آي السورة مع مراعاة ربط وحدتها الموضوعية، وختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ثم ذيلته بفهارس المصادر والموضوعات.

أما خطة البحث فهي كما يلي

التمهيد :التعريف بسورة الكهف وبيان فضلها.

المبحث الأول : مصطلحات البحث

المبحث الثاني : المعين الأول تلاوة القرآن

المبحث الثالث : المعين الثاني الصبر

المبحث الرابع : المعين الثالث الصحبة الصالحة

المبحث الخامس : المعين الرابع العمل الصالح

المبحث السادس : المعين الخامس الذكر والدعاء

تمهيد

التعريف بسورة الكهف وبيان فضلها

سورة الكهف مكية[1]. وقال الزركشي مَكِّيَّةٌ غَيْرَ قَوْلِهِ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾الكهف:28] نَزَلَتْ فِي سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ وَلَهُ قِصَّةٌ[2] والمشهور بين العلماء أن سورة الكهف مكّية كلها، وأنها من السور التي نزلت جملة واحدة [3].

وعدد آياتها مائة وعشر, وهي السورة الثامنة عشر في ترتيب سور المصحف، أما ترتيبها في النزول، فهي السورة الثامنة والستون، فقد ذكر قبلها صاحب الإتقان سبعا وستين سورة، كما ذكر أن نزولها كان بعد سورة الغاشية[4] .

وسُمّيت سورة الكهف؛ لاشتمالها على قصّة أَصحاب أَهل الكهف بتفصيلها.[5]: ويقال لها سورة أصحاب الكهف[6].

وافتتحت السورة بالتحميد, لكي يناسب ما جاء قبلها في سورة الإسراء من افتتاحها بالتسبيح الذي هو مقدم على التحميد[7] "لأن التسبيح حيث جاء مقدم على التحميد"[8] قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً﴾.

تهدف هذه الكريمة إلى بناء العقيدة بناء سليما في إثبات الوحدانية[1]وقد تعرضت لثلاث قصص من روائع قصص القرآن, في سبيل تقرير أهدافها الأساسية لتثبيت العقيدة , والإيمان

1- البيان في عدّ آي القرآن, عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني تحقيق: غانم قدوري الحمد, مركز المخطوطات والتراث – الكويت, الطبعة: الأولى، 1414هـ- 1994م,(ص179).

2- البرهان في علوم القرآن, أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ، الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م, (201/1)).

3- الموسوعة القرآنية، خصائص السور, جعفر شرف الدين, تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي, دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت, الطبعة: الأولى - 1420 هـ , (113/5).

4- الإتقان في علوم القرآن : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،الطبعة: 1394هـ/ 1974 م, (997/1).

5- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز, مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى, تحقيق: محمد علي النجار, المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة , (279/1).

6- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني, شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي , تحقيق: علي عبد الباري عطية, دار الكتب العلمية – بيروت, الطبعة: الأولى، 1415 هـ, (189/8).

7- مباحث في علوم القرآن, صبحي الصالح, دار العلم للملايين: الطبعة: الطبعة الرابعة والعشرون كانون الثاني/ يناير 2000(156).

8- البرهان في علوم القرآن الزركشي, مرجع سابق, (39/1).

بعظمة الخالق ذي الجلال, فالقصة الأولى قصة أصحاب الكهف, وهي قصة التضحية بالنفس في سبيل العقيدة, والقصة الثانية قصة موسى والخضر, – عليهما السلام– في أكثر من عشرين آية وحكت ما دار بينهما من محاورات, انتهت بأن قال الخضر لموسى: ﴿وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي، ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾الآية :82].

والقصة الثالثة قصة ذي القرنين[2]. في ست عشرة آية، بيّن الله، تعالى، فيها جانبا من النعم التي أنعم بها على ذي القرنين، ومن الأعمال العظيمة التي مكنه– سبحانه– من القيام بها.

قال تعالى:﴿حَتَّى إِذا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِما قَوْماً لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا. قالُوا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا. قالَ ما مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً﴾ الكهف:93–95].

فسورة الكهف عرضت أهم الأمور التي تأتي من قبلها الفتنة, ففي قصة أصحاب الكهف ذكرت فتنة السلطان، وفي قصة صاحب الجنتين عرضت فتنة المال، وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام عرضت فتنة العلم –ولو بشكل خاص– وفي قصة ذي القرنين عرضت فتنة الأسباب –والعلم التجريبي التطبيقي[3]

وبيَّنت السورة أن الحق لا يرتبط بكثرة المال والسلطان, وإنما هو مرتبط بالعقيدة, حيث الغني المزهو بماله والفقير المعتد بعقيدته, وإيمانه, وما دار بينهما من محاورة, وصوّرت بأسلوب بليغ مؤثر, فتلك المحاورة الرائعة التي دارت بين الغنى المغرور، وبين صديقه الفقير المؤمن الشكور, وخُتمت هذه المحاورة ببيان العاقبة السيئة لهذا الجاهل الجاحد, في قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ، فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلى ما أَنْفَقَ فِيها وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها، وَيَقُولُ: يا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً. وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَما كانَ مُنْتَصِراً﴾الآية :44]

ثم أتبعت السورة هذا المثل للرجلين، بمثال آخر, لزوال الحياة الدنيا وزينتها، وببيان أحوال الناس يوم القيامة، وأحوال المجرمين عند ما يرون صحائف أعمالهم وقد خلت من كل خير, قال تعالى:﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ، فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ، فَأَصْبَحَ

1– مباحث في علوم القرآن, صبحي الصالح, مرجع سابق (156).

2– ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا وأثنى عليه بالعدل وأنه بلغ المشارق والمغارب وملك الأقاليم ,وسار فيهم بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط. والصحيح أنه كان ملكا من الملوك العادلين وقيل كان نبيا. انظر البداية والنهاية, أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي , دار الفكر, 1407 هـ – 1986 م,(103/2).

3– مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم ، دار القلم ،الطبعة: الرابعة 1426هـ – 2005م (ص178)

هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ، وَكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً، الْمالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا، وَالْباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَخَيْرٌ أَمَلًا. وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً وَحَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾ الآية :47].

ثم ختمت السورة الكريمة ببيان ما أعده- سبحانه- للكافرين من سوء العذاب وما أعده للمؤمنين من جزيل الثواب، وببيان مظاهر قدرته، - عز وجل- التي توجب على كل عاقل أن يخلص له العبادة والطاعة. قال- تعالى-: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالًا﴾ الآية:103]. ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾. الآية : 104] ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَلِقائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَزْناً﴾الآية :105]﴿ذلِكَ جَزاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِما كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آياتِي وَرُسُلِي هُزُواً ﴾ الآية :106]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ كانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾الآية :107]﴿خالِدِينَ فِيها لا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلًا﴾الآية :108]. ﴿قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي، وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾الآية :109]. ﴿قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾الآية :110].

وقد بيّنت السنة الشريفة فضل هذه السورة الكريمة في أحاديث كثيرة منها: قوله النبي – صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ)،وذُكرَ في رواية (من آخر الكهف) [1]

وروي عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (إِنَّ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ)[2]

وسورة الكهف من السور الداعية لِتَنَزُّل السَّكينة على قلب المؤمن، ، وقد قال عليه الصلاة والسلام لمن تنزلت عليه سحابة غَشِيَتْه عند قراءته لها[3] : (اقْرَأْ، فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ)[4]

1- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء التراث العربي – بيروت، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي،(809) (555/1).

2- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد الطهماني النيسابوري ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 – 1990 (368/2)، وصحح إسناده.

3- التحصين من كيد الشياطين د خالد بن عبد الرحمن بن علي الجريسي، دراسة تأصيليَّة مستفيضة لقضايا: (العين، والحسد، والسحر، والمسّ وغيرها, (ص117).

4- صحيح البخاري, باب: علامات النبوة في الإسلام، (3614)(201/4)..

وأن قراءتها سبب نزول السكينة ؛ لحديث البراء – رضي الله عنه –، قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين [1] فتغشاه سحابة فجعلت تدور وتدنو، وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي – صلى الله عليه وسلم –، فذكر ذلك له، فقال: (تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ بِالقُرْآنِ) [2] قال البقاعي: وأما ما ينشأ عنها من النور، ولكونها سورة الكتاب الهادي للصواب. الموصوف بدوام الاستقامة، المانعة من الشك والارتياب، والزلزلة والاضطراب وكذلك فعل النور بصاحبه، يوضح له الخفايا، ويفتح له الخبايا، وكل باب. وأما السكينة: فلما خص الله به أصحاب الكهف وموسى والخضر وذا القرنين عليهم السلام، من الطمأنينة على الحق، والسكون على الخير .[3]

وسورة الكهف قد– ساقت– بأسلوبها البليغ الذي يغلب عليه طابع القصة– ألوانا من التوجيهات السامية، التي من شأنها أنها تهدى إلى العقيدة الصحيحة، وإلى السلوك القويم. وإلى الخلق الكريم، وإلى التفكير السليم الذي يهدى إلى الرشد، وإلى كل ما يوصل إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

المبحث الأول: مصطلحات البحث

معينات : من الفعل أعان و(أَعَانَهُ) على الشَّيْء ساعده.[4] وقال صاحب اللسان: الإعانة كلُّ شَيْءٍ أَعانك فَهُوَ عَوْنٌ لَكَ، كَالصَّوْمِ عَوْنٌ عَلَى الْعِبَادَةِ، وَالْجَمْعُ الأَعْوانُ.[5] وأعانه: عضده, وأعزه[1]

1–شطنين: تثنية شطن، وهو الحبل الطويل، وإنما ربطه بشطنين؛ لقوته، وشدته.(انظر المجموع في غريب القرآن والحديث(199/2).

2– الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه =: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)الطبعة: الأولى، 1422هـ ، باب فضل سورة الكهف، (5011،) (188/6). وصحيح مسلم، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، (795).(240/1).

3– مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ،"المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى": إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط أبي بكر البقاعي ، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الأولى 1408 هـ – 1987 م,(252–253/2)

4– المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / وآخرين، دار الدعوة,(638/2).

5– لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعىالإفريقى، دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ, (ع و ن)

الثبات في اللغة : ثَبَتَ الشَّيْءُ يَثْبُتُ ثُبُوتًا دَامَ وَاسْتَقَرَّ فَهُوَ ثَابِتٌ وَبِهِ سُمِّيَ وَثَبَتَ الْأَمْرُ صَحَّ, وَالِاسْمُ الثَّبَاتُ, وَرَجُلٌ ثَبْتٌ سَاكِنُ الْبَاءِ مُتَثَبِّتٌ فِي أُمُورِهِ. وَثَبْتُ الْجَنَانِ أَيْ ثَابِتُ الْقَلْبِ وَثَبُتَ فِي الْحَرْبِ فَهُوَ ثَبِيتٌ وَرَجُلٌ ثَبَتٌ بِفَتْحَتَيْنِ أَيْضًا إذَا كَانَ عَدْلًا ضَابِطًا.[2]

ويُقال: ثَبَتَ فلانٌ فِي المكانِ، يَثْبُتُ، ثُبُوتاً: إذا أَقامَ بِهِ، فَهُوَ ثابِتٌ.[3] و الثَّبِيتُ: الثّابتُ القُوَّةِ و (العَقْلِ).[4]وَيُقَال شَيْء ثَابت بِمَعْنى أَنه مُسْتَقر لَا يَزُول وَيسْتَعْمل الثَّبَات فِي الْأَجْسَام والأعراض[5]

قال الراغب[6]" الثَّبَات ضدّ الزوال، يقال: ثَبَتَ يَثْبُتُ ثَبَاتاً" قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ﴾ الأنفال: 45] ، ورجل ثَبْتٌ وثَبِيتٌ في الحرب، وأَثْبَتَهُ السقم[7]

وقد توجد ألفاظ في اللغة تحمل معنى الثبات منها: الطبع, وهو أثر يثبت فِي المطبوع وَيلْزمهُ فَهُوَ يُفِيد من معنى الثَّبَات واللزوم .[8]ومنها:(لُبَّ) قال ابن فارس (لُبَّ): أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى لُزُومٍ وَثَبَاتٍ، وَعَلَى خُلُوصٍ وَجَوْدَةٍ..[9]

أما **الثبات في الاصطلاح** فقد اختلف في معناه قال المناوي[1] "الثبات التمكن في الموضع الذي شأنه الاستزلال"[2],قال الرازي "ولا معنى للثبات إلا السكون والاستقرار".[3]فهو يدور حول

1- انظر الجامع لأحكام القرآن, تفسير القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي, تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش, دار الكتب المصرية – القاهرة,الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م (2/11).

2-المصباح المنير للفيومي (80/1).

3- تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي تحقيق: مجموعة من المحققين: دار الهداية, (472/4).

4- المرجع السابق نفسه.

5- الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، تحقيق محمد إبراهيم سليم, دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر, (ص118).

6- هوالحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم، المعروف بالراغب الأصفهاني: أديب، إمام من حكماء العلماء، اشتهر بالتفسير واللغة. أصله من أصفهان، وعاش ببغداد،من كتبه "تحقيق البيان في تأويل القرآن و تفسير الراغب وفاته عام 502هـ. (انظر معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر», عادل نويهض, مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان, الطبعة: الثالثة، 1409 هـ - 1988 م,(158/1).

7- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانيتحقيق: صفوان عدنان الداودي ،دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 هـ (ص171).

8- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري, مرجع سابق(ص73).

9- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين ،تحقيق: عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر: 1399هـ - 1979م, (199/5).

معنى التمكن, والاستقرار, والتمكن, الذي هو ضد الحركة, والمراد به الاستقرار على طريق الهداية والاستمرار فيه والالتزام بمقتضيات هذا الطريق ، والمداومة على الخير وإن زلت قدمه فلا يلبث أن يتوب ، وربما كان بعد التوبة خيرًا مما كان قبلها ، ذلك هو حال المتصف بخلق الثبات.

الحق في اللغة: هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره من حق الشيء يحق، إذا ثبت ووجب, والحقُّ نقيض الباطل[4]وحق الشيء وجبَ.[5]

وفي اصطلاح أهل المعاني: الحكم المطابق للواقع، يطلق على الأقوال والعقائد، والأديان، والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك، ويقابله الباطل.[6] فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى «الحَقُّ» هُوَ الْمَوْجُودُ حَقِيقَة المُتَحَقِّق وجُودُه وإلهِيَّتُه.[7]

تلاوة : تَلا اتَّبَع, وتَلَوْته تُلُوّاً: تَبِعْتُهُ. وتَتَالَت الأُمورُ: تَلَا بعضُها بَعْضًا.وتَلا يَتْلُو تِلاوَة يَعْنِي قرأَ قِرَاءَةً. [8] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾. قال الطبري: قرءوه واتبعوا ما فيه.[9]

1- محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري،: من كبار العلماء بالدين والفنون. له نحو ثمانين مصنفا، عاش في القاهرة، وتوفي بها عام 1031هـ.).انظر خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر,محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (412/2).

2- فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين ثم المناوي القاهري ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر ،الطبعة: الأولى، 1356,(130/2).

3- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي فخر الدين الرازي , دار إحياء التراث العربي – بيروت, الطبعة: الثالثة – 1420 هـ, (515/6).

4- العين: الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي, دار ومكتبة الهلال, (6/3).

5- مجمل اللغة لابن فارس, أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ), دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان, مؤسسة الرسالة – بيروت, الطبعة الثانية – 1406 هـ – 1986 م (415/1).

6- معجم الفروق اللغوية لابي هلال العسكري, مرجع سابق, (193).

7- النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير , المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م, تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي,(413/1).

8- لسان العرب لابن منظور, مرجع سابق,(باب فصل التاء المثناة)

9- جامع البيان في تأويل القرآن : محمد بن جرير الطبري تحقيق: أحمد محمد شاكر, مؤسسة الرسالة, الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م, (565/2).

وعلى هذا فإن معنى التلاوة في **الاصطلاح** هو قراءة القرآن ومتابعته كالدراسة والأوراد الموظفة لذلك[1]، فالمعني اللغوي يشير إلى وصف من أوصاف القرآن وهو المنظم: الذي يتلو بعضه بعضاً.

وكذلك جاءت التلاوة بمعنى التبليغ[2]والبيان والدعوة, وهي أساسية في عملية التعليم. وبها تنتقل الأفكار والمعلومات من ذهن المعلم إلى ذهن المتعلم، عن طريق حاسة السمع, كما تمتاز بإمكان التحديد الدقيق للمعلومات، وربط الأسباب بالمسببات. [3]

الصبر لغة : أصل الصَّبْرُ: الْحَبْسُ[4] وهو حَبس النفس عن الجزع. وقد صَبَر فلانٌ عند المصيبة يَصْبِرُ صَبْراً. وصَبَرْتُهُ أنا: حبسْته. قال الله تعالى: ﴿ واصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذينَ يَدْعونَ رَبَّهُمْ﴾[5]

وأما **الصَّبْرُ اصطلاحا** عرّف بتعريفات شتى : قيل الإمساك في ضيق، وهو حبس النّفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عمّا يقتضيان حبسها عنه، فَالصَّبْرُ لفظ عامّ، فإن كان حبس النّفس لمصيبة سمّي صبرا لا غير، ويُضَادُّهُ الجزع.[6]

وقيل هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله؛ لأن الله تعالى أثنى على أيوب صلى الله عليه وسلم بالصبر بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾الآية: 44] مع دعائه في رفع الضر عنه.[7]

الصحبة :لغة: (صَحَبَ) الصَّادُ وَالْحَاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُقَارَنَةِ شَيْءٍ وَمُقَارَبَتِهِ. مِنْ ذَلِكَ الصَّاحِبُ، وَالْجَمْعُ: الصَّحْبُ، وأَصْحَبَ فُلَانٌ، إِذَا انْقَادَ.. وَكُلُّ شَيْءٍ لَاءَمَ شَيْئًا فَقَدِ اسْتَصْحَبَهُ.[1]

1- روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي, المولى أبو الفداء , دار الفكر – بيروت, (237/5).

2- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي, تحقيق: سامي بن محمد سلامة, دار طيبة للنشر والتوزيع, الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م,(151/5).

3- أَفْعَال الرَّسُول صلى الله عليه وسلم وَدَلالَتَهَا عَلَى الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ : محمد بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي ، مؤسسة الرسالة للطباعه والنشر والتوزيع، بيرت – لبنان ، الطبعة: السادسة، 1424 هـ - 2003 م,(40/1).

4 مجمل اللغة لابن فارس, مرجع سابق,(549/1).

5- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت ،الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م, (709/2).

6- المفردات للراغب, مرجع سابق,(ص 474).

7- التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء , دار الكتب العلمية بيروت –لبنان, الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م,(131).

أما **الصحبة في الاصطلاح** فلها معاني كثيرة تدور حول المعنى اللغوي قال القرطبي" الصحبة: الاقتران بالشيء في حالة ما في زمان ما, فان كانت الملازمة والخلطة فهو كمال الصحبة". قال صاحب البحر المحيط "وَهِيَ لِمُطْلَقِ الِاقْتِرَانِ فِي زَمَانٍ مَا".[2]فالصحبة تقتضي نوعا من الملازمة فيها تجاذب المتصاحبين[3] و الإصحاب للشيء: الانقياد له. وأما عند أهل الأصول فاختلفوا في الصحبة[4])وحيث جاء قوله تعالى ﴿والله مع الصابرين﴾ البقرة: 249] ونحوه فالمراد الصحبة المعونة والإثابة.[5]

العمل الصالح : قَالَ الْخَلِيلُ[6]: "عَمِلَ يَعْمَلُ عَمَلًا، فَهُوَ عَامِلٌ; وَاعْتَمَلَ الرَّجُلُ، إِذَا عَمِلَ بِنَفْسِهِ" [7] وعَمِلَ الْعَيْنُ وَالْمِيمُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ عَامٌّ فِي كُلِّ فِعْلٍ يُفْعَلُ.[8]

وصالح : من الصَّلاحُ ضد الطلاح. صَلَحَ يَصْلَحُ ويَصْلحُ صلاحا وصُلُوحا فَهُوَ صالح والمُصْلحُ، الْمُقِيم على الْأَيْمَان الْمُؤَدِّي فَرَائِضه اعتقادا وَعَملا.[9]

وقيل هو، المتمثل في إتقان المرء عمله "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه"[10] وقيل هو الموافق للسنة، أي: فما كان مخالفاً للسنة فليس عملاً صالحاً،[1]

1- مقاييس اللغة لابن فارس, مرجع سابق, (335/3).

2- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي), تحقيق: صدقي محمد جميل, دار الفكر – بيروت, الطبعة: 1420 هـ ,(259/1).

3- تفسير الشعراوي – الخواطر.: محمد متولي الشعراوي , مطابع أخبار اليوم, (425/1).

4- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي المحقق: محمد باسل عيون السود, دار الكتب العلمية ،الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996م, (320/2).

5- المرجع السابق (100/4).

6- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم ,الفراهيدي, الأزدي, اليحمدي؛ كان إماماً في علم النحو, كان الخليل رجلاً صالحاً عاقلاً حليماً وقور, له من التصانيف كتاب " العين " في اللغة وهو مشهور، وكتاب " العروض " وكتاب " الشواهد " وكتاب " النقط والشكل " وكتاب " النغم " وكتاب في العوامل وتوفي سنة سبعين، وقيل خمس وسبعين ومائة. (انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي,تحقيق: إحسان عباس, دار صادر – بيروت, (244/2).

7-العين للخليل بن أحمد, مرجع سابق(مادة ع م ل)

8- مقايس اللغة لابن فارس, مرجع سابق (145/4).

9- المحكم والمحيط الأعظم : أبو الحسن علي بن إسماعيل تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروتالطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م (/152)

10- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي, مكتبة ابن تيمية – القاهرة, الطبعة: الثانية, (306/24).

الذِّكْرُ: الحفظ للشيء تذكره، وهو مبني على ذكر. والذِّكرُ: جري الشيء على لسانك، تقول جرى منه ذِكر.[2]وهو: خلاف النِسْيانِ.[3]

وأما اصطلاحا:

الذِّكْرُ: يراد به هيئة للنّفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلّا أنّ الحفظ يقال اعتبارا بإحرازه، والذِّكْرُ يقال اعتبارا باستحضاره، و يقال لحضور الشيء القلب أو القول.[4]

والدُعاءُ لغة: واحد الأدْعِيَةِ، وأصله دعاؤ، لأنه من دعوت إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت.[5]دعا بالشَّيْء دعوا ودعوة وَدُعَاء وَدَعوى طلب إِحْضَاره يُقَال دَعَا بِالْكتاب وَالشَّيْء إِلَى كَذَا احْتَاجَ إِلَيْهِ ..ودَعَا الله رجا مِنْهُ الْخَيْر وَلفُلَان طلب الْخَيْر لَهُ ودعا على فلَان طلب لَهُ الشَّرّ[6]

الدعاء اصطلاحا: الدعاء هو العبادة [7]كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[8] و الدعاء هو الذي تختم بها العبادة، وقيل: نفسُ الدعاء هو العبادة؛ لأنه يشتمل على ذكر الله تعالى بأسمائه وصفاته، والسؤال منه؛ فكل ذلك عبادة[9]وقيل هو التضرع والانكسار بين يدي الله عز وجل.[10]

1- دروس للشيخ محمد ناصر الدين الألباني : محمد ناصر الدين الألباني ، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية
.http://www.islamweb.net

2- العين للخليل بن أحمد (مادة ذ ك ر).

3- الصحاح للجوهري(ذ ك ر)

4- المفردات للراغب الأصفهاني (328).

5- الصحاح للجوهري (د ع ا)

6- المعجم الوسيط, ابراهيم مصطفى وآخرون (د ع و).

7- انظر تفسير الطبري, مرجع سابق(406/21).

8- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو السِّجِسْتاني ، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي ،دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م,باب الدعاء (1479) (76/2).

9- شرح سنن أبي داود: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد الحنفى بدر الدين العينى،تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري ،مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، 1420 هـ -1999 م, (394/5).

10- دروس للشيخ أبو إسحاق الحويني: أبو إسحاق الحويني الأثري حجازي محمد شريف, مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 146 درسا] (101).

المبحث الثاني

المعين الأول تلاوة القرآن

يعتبر القرآن الكريم أول المعينات على الثبات على الحق, وذلك بالإقبال على كتاب الله تلاوة وتعلماً وعملاً وتدبراً, فإن الله – سبحانه و تعالى – أخبر بأنه أنزل هذا الكتاب المجيد تثبيتاً للمؤمنين وهداية لهم وبشرى قال الله تعالى :﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ"﴾النحل:102] فكتاب الله هو الحبل المتين والصراط المستقيم والضياء المبين لمن تمسك به وعمل . فهو كلام الله, المتعبد بتلاوته, من تمسك به عُصِم, ومن تبعه نجا, ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم..

وتلاوة القرآن هي قراءته، ولفظ (وَاتْلُ) يشمل التلاوة اللفظية والتلاوة العملية، أمّا التلاوة اللفظية فظاهر، تقول: "فلان تلا علي سورة الفاتحة"، والتلاوة الحكمية العملية أن تعمل بالقرآن، فإذا عملت به فقد تلوتَه أي تَبعتَه، ولهذا نقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ﴾ فاطر: الآية29] يشمل التلاوة اللفظية والحكمية، والخطاب في قوله: (وَاتْلُ) للرسول صلى الله عليه وسلم.[1]

وقد جاء الأمر بتلاوته، في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾الآية: 27] واختلف أهل العلم في معنى التلاوة إلى قولين[2]:

الأول : أنها بمعنى القراءة.

الثاني: بمعنى الاتِّباع.[3] فيكون المعنى على القول الأول: اقرأ القرآن، وعلى الثاني: اتَّبِعْه واعمل به.

وجاء في مفردات الراغب التلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة، تارة بالقراءة، وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهي، وترغيب وترهيب. أو ما يتوهم فيه ذلك، وهو أخصّ من القراءة، فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة" [4]

وقال ابن كثير" المعنى المراد في الآية هو تلاوة كتابه العزيز وإبلاغه إلى الناس"[5]

1- تفسير سورة الكهف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين , دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية, الطبعة: الأولى، 1423 هـ, (ص55).

2- زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي تحقيق: عبد الرزاق المهدي ،دار الكتاب العربي – بيروت ,الطبعة: الأولى – 1422 هـ, (79/3).

3- انظر تفسير –تفسير الطبري (651/17)وتفسير الواحدي (65/1)

4- المفردات للراغب الاصفهاني, (ص 167).

5- تفسير ابن كثير, مرجع سابق(151/5).

ووجه الخلاف بين التلاوة والقراءة هو أن التلاوة قراءة القرآن ومتابعته كالدراسة والأوراد الموظفة لذلك، وأما القراءة فهي أعم لأنها جمع الحروف باللفظ لا اتباعها.[1]

وفي هذه الآية الكريمة ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾أمر لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يتلو هذا القرآن الذي أوحاه إليه ربه. والأمر في قوله (واتل)، شامل للتلاوة بمعنى القراءة، و التلو: بمعنى الاتباع,وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أمره تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بتلاوة القرآن العظيم واتباعه جاء مبينا في آيات أخر ; كما في قوله تعالى :﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ العنكبوت: 45] ، وقوله تعالى في آخر سورة النمل : إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ الآية: 91، 92] ،وقوله ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾المزمل: 4] ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على الأمر بتلاوته.

وقد أمر الله بقراءته في الصلاة, وغيرها على سبيل العبادة[2] ولا تصح الصلاة إلا به، وسورة الفاتحة إحدى أركان الصلاة ولا تصح صلاة إلا بها لقوله صلى الله عليه وسلم: "لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ"[3].

وأن الثواب على تلاوته لا يعادله ثواب فقد ورد في فضل تلاوته عن ابن مسعود –رضي الله عنه– أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– قال: " مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ"[4]

فإن تعاهد القرآن بالتلاوة, والتدبر, يجعل الإنسان يقف على كثير من المواقف والقصص التي تعينه على الثبات, فمن ذلك ثباته لرسوله صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى:﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾الفرقان:32] ,وغيرها من الآيات التي ورد فيها الأمر بتلاوته, وتعاهده.

وقد أثنى الله تعالى على الذين يتلون القرآن فقال تعالى: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ آل عمران :113]وقد جاء في الصحيحين من حديث ابن عمر "لا حسد إلا في

1- روح البيان, مرجع سابق,(237/5).

2- فضائل القرآن: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي , مكتبة ابن تيمية, الطبعة الأولى - 1416 هـ, (ص20.9)

3 –صحيح البخاري, باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات (756)

4- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو تحقيق: بشار عواد معروف ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1998 م, باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر, (2910)

اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار"[1]

كما بينت السنة المطهرة فضل أهل القرآن وشرفهم فمن ذلك , أن أهل القرآن هم خير الأمة الإسلامية لقوله صلى الله عليه وسلم: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)[2]قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ)[3],وهم من يرفع الله منزلتهم في الآخرة حتى يُبلَّغوا منزلة آخرِ آيةٍ يقرؤونها, قال صلى الله عليه وسلم: (يُقَالُ – يعني لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ – اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا)[4], وهم من تنزَّل السكينة عليهم وهي الطمأنينة والوقار[5]، وتدنو الملائكة عند قراءتهم قال صلى الله عليه وسلم: (وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)[6], وهم المُقدَّمون للإمامة في الصلاة. كما جاء عنه عليه الصلاة والسلام: (يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى)[7]وهم، أهلُ الله وخاصَّتُه وجاء في فضلهم أيضا قوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ ، قيل: من هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ عليه الصلاة والسلام: «أَهْلُ الْقُرْآنِ: أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ).[8]

ومن نتائج تلاوته أنه يكون شفيعاً لأصحابه يوم القيامة، كما قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم:(اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِه)[9] عن ابنِ مسعود رضي الله عنه عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّهِ، فَمَنْ دَخَلَ فِيهِ، فَهُوَ آمِنٌ» ".[10]

1- صحيح البخاري باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: " رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار 75229),(154/9), مسلم باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه, (815),(558/1).

2- صحيح البخاري؛ كتاب: فضائل القرآن، باب: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ . (5027)(192/6).

3-صحيح البخاري؛ كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة عبس، (4937) .

4- سنن أبي داود، كتاب الصلاة (الوتر) ، باب: كيف يُستحب الترتيل في القرآن، (1464)

5- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الثانية، 1392,(21/17).

6- صحيح مسلم, باب فضل الاجتماع على قراءة القرآن (2700) (2074/4).

7- صحيح مسلم؛ كتاب المساجد، باب: مَن أحقُّ بالإمامة؟، (673)

8- مسند أحمد بن حنبل, (127/3)

9- صحيح مسلم, باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة,(804) (553/1)),.

10- سنن الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرامالدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 2000 م,باب فضل من قرأ القرآن (3365) (2093/4).

قال ابن حزم: "فيستحب للمسلم الذي يطلب النجاة أن يأتي بما لعله أن يوازي ذنوبه ويوازن سيئاته، وأن يواظب على قراءة القرآن فيختمه في كل شهر مرة، فإن ختمه في أقلّ فحسن ، ويواظب مع ذلك على قراءة قل هو الله أحد، ولو في كل ركعة من صلاته مع أم القرآن وسورة أخرى"[1]

فقد رُوي أن رجلاً من الأنصار كان يفعل ذلك، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فعله ذلك فقال: إني أحبها، فقال عليه السلام: (حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ)[2]

فقد كان للقرآن الكريم أثراً بالغاً في النفوس، كيف لا وقد قال الله تعالى في وصفه﴿:لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾الحشر:21] لكمال تأثيره في القلوب، فإن مواعظ القرآن أعظم المواعظ على الإطلاق، وأوامره ونواهيه محتوية على الحكم والمصالح المقرونة بها، وهي من أسهل شيء على النفوس، وأيسرها على الأبدان، خالية من التكلف لا تناقض فيها ولا اختلاف، ولا صعوبة فيها ولا اعتساف، تصلح لكل زمان ومكان، وتليق لكل أحد.[3]

ودوننا ما تناقلته كتب السيرة أن عتبة بن ربيعة لما أرسلته قريش يعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم عروضاً دنيوية ليكف عن الدعوة الجديدة التي جاء بها، فما كان جوابه له إلا أن قرأ عليه صدراً من سورة فصلت، فتأثر عتبة تأثراً شديداً، وشهد له بكلمته المشهورة: "إني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة."[4]

وأسلم عمر بن الخطاب رضي الله بسبب اطلاعه على سورة طه في صحيفة وجدها عند أخته فاطمة.[5]

فاخترق القرآن الكريم قلوبهم، وهم على الكفر والضلال، وما زال يؤثر فيها حتى عاد أصحابها إلى الهدى والإيمان، يقول جبير بن مطعم بن عدي القرشي النوفلي رضي الله عنه – وكان من أكابر قريش وعلماء النسب فيها –: "سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴾ [الطور: 35 –

1- رسائل ابن حزم, (150/3).

2- صحيح البخاري باب الجمع بين السورتين في الركعة(155/1).

3- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ،تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ،مؤسسة الرسالة ،الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 (ص853).

4- البداية والنهاية لابن كثير, مرجع سابق, (63/3).

5- السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ،دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان1395 هـ - 1976 م, (33/2).

37]، كاد قلبي أن يطير"[1]؛ قَالَ الْخطابِيّ: كَانَ انزعاجه عِنْد سَماع الْآيَة لحسن تلقيه مَعْنَاهَا ومعرفته بِمَا تضمنته من بليغ الْحجَّة.[2]

1- صحيح البخاري, باب قوله تعالى(وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس),(140/6), حديث رقم(4854).

2- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بدر الدين العينى،دار إحياء التراث العربي – بيروت, (195/19).

المبحث الثالث

المعين الثاني الصبر

إن الصبر من أعظم خصال الخير التي حث الله عليها في كتابه العظيم، وأمر بها رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم في سنته المطهرة، وقد تكرر ذكره في القرآن كثيرا وورد عن الإمام أحمد – رحمه الله إن الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعا[1]، اشتملت على عدة جوانب منها الأمر به نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾البقرة:45]، وكذلك النهى عن ضده كقوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾الأحقاف: 35] ، ومنها الثناء على أهله كقوله: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾آل عمران:17]، وقوله:﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾البقرة: 177], ومنها إيجاب معية الله لهم كقوله:﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الأنفال: 46] ومنها إيجاب محبته لهم، كقوله: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ وإخباره بأن الصبر خير لهم، كقوله: ﴿ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾النحل:126]، وإيجابه الجزاء لهم بأحسن ما كانوا يعملون, وبغير حساب، كقوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾الزمر: 10]. وإطلاق البشرى لأهل الصبر،[2]كقوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة: 155]

والصبر واجب بإجماع الأمة. وهو نصف الإيمان. فإن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر.[3]وأكثر أخلاق الإيمان داخلة في الصبر ولذلك لما سئل صلى الله عليه وسلم عن الإيمان قال: " الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ"[4]لأنه أكثر أعماله وأعزها.وهو خُلُقٌ فاضل من أخلاق النفس يمنع صاحبه من فعل ما لا يَحْسُنُ، ، فهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها ، وهذه القوة تمكّن الإنسان من ضبط نفسه لتحمّل المتاعب، و المشاق، والآلام.[5]

1- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ،تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي ،دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م, (151/2).

2- بصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي, مرجع سابق, (371/3).

3- مدارج السالكين لابن القيم (151/2).

4- شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد, مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند, الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003, باب في الصبر على المصائب (190/12)(9261).

5- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية)،دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية, الطبعة: الثالثة، 1409هـ/ 1989م,(ص29) .

ولعظم الصبر ومكانته فقد أقسم الله في سورة العصر واستثنى من الخسران المبين الصابرين وقرنه بالإيمان ، وجعله بمثابة التثبيت على هذا الصراط المستقيم إذ الصبر لازم على عمل الطاعات، كما هو لازم لترك المنكرات.[1]

وورد عند أهل العلم على ثلاثة أنواع : صبر بالله. وصبر لله. وصبر مع الله.

الأول: صبر الاستعانة به، كما قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ النحل: 127] يعني إن لم يصبرك هو لم تصبر.

الثاني: الصبر لله. وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله، وإرادة وجهه.والتقرب إليه. لا لإظهاره قوة النفس، والاستحماد إلى الخلق، وغير ذلك من الأعراض.

الثالث:الصبر مع الله. وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية، صابرا نفسه معها، سائرا بسيرها مقيما بإقامته يتوجه معها أين توجهت ركائبها، وينزل معها أين استقلت مضاربها, فهذا معنى كونه صابرا مع الله؛ أي قد جعل نفسه وقفا على أوامره ومحابه، وهو أشد أنواع الصبر وأصعبها. وهو صبر الصديقين.[2]

قال السعدي أنواع الصبر: صبر على طاعة الله حتى يؤديها، وصبر عن معصية الله حتى يتركها، وصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها[3]فلا بد من الصبر على فعل الحسن المأمور به وترك السيئ المحظور؛ ويدخل في ذلك الصبر على فعل الأذى وعلى ما يقال؛ والصبر على ما يصيبه من المكاره؛ والصبر عن البطر عند النعم، وغير ذلك من أنواع الصبر[4]

والصبر فضيلة تعين على كل الأمور فإن العبد إذا أصابته مصيبة فصبر وثبت، ازداد بذلك إيمانه، ودل ذلك أن استمرار الجزع مع العبد، دليل على ضعف إيمانه.[5]،وأن من أعظم ما يزيد به الإيمان، ويتم به اليقين، الصبر عند المزعجات، والتثبيت من الله، عند المقلقات، كما قال تعالى. ﴿لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾القصص :10] أي ليزداد إيمانها بذلك ويطمئن قلبها.

1- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي , دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان, 1415 هـ - 1995 م, (96/9).

2- مدارج السالكين لابن القيم, مرجع سابق, (156/2).

3- تفسير السعدي, مرجع سابق (ص51).

4- مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم, مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية, 1416هـ/1995م, (153/28).

5- تفسير السعدي (612/1).

وأن من أعظم نعم الله على عبده، ، تثبيت الله إياه، وربط جأشه وقلبه عند المخاوف، وعند الأمور المذهلة، فإنه بذلك يتمكن من القول الصواب، والفعل الصواب، بخلاف من استمر قلقه وروعه، وانزعاجه، فإنه يضيع فكره، ويذهل عقله، فلا ينتفع بنفسه في تلك الحال[1]

وقد كان أول ذكر للصبر في سورة الكهف أمر للرسول صلى الله عليه وسلم به, والصبر المذكور في هذه الآية, هو الصبر على طاعة الله, الذي هو أعلى أنواع الصبر, وبتمامه يتم باقي الأقسام .[2]عند قوله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾الآية :128] والمعنى المراد احبس نفسك يا محمد في أعمال الطاعات ﴿مَعَ الذين يَدْعُونَ رَبَّهُم بالغداة والعشي﴾ بالذكر والحمد والتضرع يريدون بذلك وجه الله.﴿وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾.أي: لا تصرفهما عنهم إلى غيرهم من الكفار.[3]وقيل هم أهل الصلاة المكتوبة.[4]

ووردت الإشارة في سورة الكهف على نوع من أنواع الصبر, وهو الصبر من أجل العلم, قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾الآية : 66] فنفى استطاعة الصبر عنه, فدل على أن وجود الاستطاعة بوجود الصبر.[5]وفي هذا تنبيه من العبد الصالح الخضر إلى لفت نظر موسى عليهما السلام إلى أنه لن يستطيع الصبر على ما سيرى منبهاً إياه إلى الشرط اللازم توافره في التلميذ من أجل الوصول إلى المبتغى ، وقد وعد موسى لا بأن يكون صابرا وحسب بل أن يكون التلميذ مطيعا أيضا.

وفي هذا أصل من أصول التعليم أن ينبه المعلم المتعلم بعوارض موضوعات العلوم الملقنة لا سيما إذا كانت في معالجتها مشقة ، وزادها تأكيداً عموم الصبر المنفي لوقوعه نكرة في سياق النفي، لأن النكرة في سياق النفي من أدل ألفاظ العموم على العموم .[6]وأن المنفي استطاعته

1- المرجع السابق(ص 645).

2- المرجع السابق (ص 475).

3- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد القيسي المالكي ،تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي, جامعة الشارقة ،الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.(4364/6).

4- نسبه الطبري في تفسيره لابن المسيب (383/11).

5- تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي ،تحقيق، د سيد عبد العزيز - د عبد الله ربيع، ، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث - توزيع المكتبة المكية ، الطبعة الأولى، 1418 هـ - 1998 م, (972/4).

6- نهاية الوصول في دراية الأصول: صفي الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي الهندي تحقيق: د. صالح بن سليمان اليوسف - د. سعد بن سالم السويح المكتبة التجارية بمكة المكرمة ، الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1996 م,(5/ 2011).

الصبر المفيد أنه لو تجشم أن يصبر لم يستطع ذلك، فأفاد هذا التركيب نفي حصول الصبر منه في المستقبل على آكد وجه ولما كان هذا الصبر الكامل يقتضي طاعة الآمر فيما يأمره به عطف عليه ما يفيد الطاعة إبلاغاً في الاتسام بأكمل أحوال طالب العلم.

أما جملة (لا أعصي لك أمرا) معطوفة على جملة (ستجدني)، أو هو من عطف الفعل على الاسم المشتق عطفا على صابراً فيؤول بمصدر، أي وغير عاص. وفي هذا دليل على أنَّ أهم ما يتسم به طالب العلم هو الصبر والطاعة للمعلم.[1]

فالصبر إذًا هو أساس الاتفاق على تحصيل العلم، ولقد عذر الخضر موسى – عليهما السلام – أكثر من مرة؛ لصعوبة الصبر، ولأن ما حصل كان يتطلب قدرًا عاليًا منه، وبما أنَّ موسى – عليه السلام – لم يُبْدِ ذلك النوعَ الخاص من الصبر؛ فقد بطل الاتفاقُ، وتوقَّف تعليمه من تلك الجهة؛ ولهذا قال النبي – صلى الله عليه وآله وسلم ((وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ حَتَّى يَقُصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا)2

ومن ثمار فوئد العلم في هذه الواقعة ضرورة التحلي بالصبر، لا في ميدان التعلم وحسب، بل في مجال التعامل العام مع الآخرين؛ كتعامل المعلمين مع طلابهم، وبالعكس، والأطباء مع المرضى، وهكذا ، والناس بعضهم مع بعض في شتى شؤونهم ومصالحهم.

وفي القصة فوائد, وأحكام, وقواعد كثيرة منها : من ليس له قوة الصبر على صحبة العالم والعلم, وحسن الثبات على ذلك, أنه ليس بأهل لتلقي العلم، فإن موسى – عليه السلام – لما كان من أهل القدوة لم يستطع صبرا على ما رأى من العبد الصالح من خرق السفينة وقتل النفس وإقامة الجدار حتى أنكرها عليه مع أنه قد وعده بالصبر.[3]

والصبر يعتبر من أفعال القلوب وهي كثيرة: منها حسن الظن بالله، ومنها الحزن على ما فات من طاعته، ومنها الفرح بفضله ورحمته، ومنها محبة الطاعة والإيمان، وكراهة الكفر والفسوق والعصيان، ومنها الحب في الله والبغض في الله كحب الأنبياء وبغض العصاة والأشقياء، ومنها الصبر على البليات والطاعات، وعن المعاصي والمخالفات، ومنها التذلل والتخضع والتخشع والتذكر والتيقظ، وغبطة الأبرار على برهم، والأخيار على خيرهم، والأتقياء على تقواهم، ومنها الكف عن أضداد هذه المأمورات، ومنها الشوق إلى لقاء الله، ومنها أن يحب

1- التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، الدار التونسية للنشر تونس:1984 هـ,(372/15).

2- صحيح البخاري باب إذ قال موسى لفتاه لا أبرح (3401)(88/6).

3- انظر كشف الأسرار شرح أصول البزدوي: عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي، دار الكتاب الإسلامي ،الطبعة: بدون طبعة وتاريخ, (3/ 73).

للمؤمنين ما يحب لنفسه، وأن يكره لهم مثل ما يكره لنفسه، ومنها مجاهدة النفس والشيطان إذا دعوا إلى المخالفات والعصيان[1]

ويكفي شرفا الصابرين قول الله تعالى فيهم أنهم فازوا بهذه المعية من الله، لكفى بها فضلا وشرفا، وأما المعية العامة، فهي معية العلم والقدرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾الحديد : 4]وهذه عامة للخلق.[2]

المبحث الرابع
المعين الثالث الصحبة الصالحة

تحدثت السورة الكريمة عن محاور تحوي صور ونماذج للصحبة الصالحة منها: صحبة أهل الكهف , وصحبة الصالحين ، وصحبة أصحاب الجنتين, وصحبة مؤمنين وهما موسى والخضر عليهما السلام ونتناول هذه المحاور بإيجاز .

المحور الأول : صحبة أهل الكهف

فأهل الكهف قد وصفه الله صحبتهم في السورة الكريمة في قوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ الآية :13]إنهم فتية، وأنهم أووا إلى الكهف، وأنهم دعوا ربهم هذا الدعاء العظيم الشامل لكل خير، وهو قوله عنهم عز وجل﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾الآية:10]. يعني بذلك أن هب لهم من عنده توفيقًا وثباتًا على الإيمان فالإنسان لن يثبت إلا برحمة من الله﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾فالرحمة المطلوبة في هذا الموضع: هي ستر الله عز وجل عليهم، ونجاتهم ممن يريدهم ليفتنهم عن دينهم، وليصرفهم عن هذا الدين،وأن يعطيهم رحمةً منه معونة لهم للثبات على ما هُم عليه من حسن البصيرة بالحق الذي هم عليه مقيمون، فأنت إذا ثبت على الدين كنت في رحمة من الله عز وجل، وتطلب منه المزيد: بأن يؤتيك الله عز وجل مزيداً من التوفيق والثبات[3]وقال تعالى:﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾الآية :14] فهم في عمر الشباب التقوا على الإيمان, والتوحيد الحق, واتفقوا على الثبات, واستمرار العبادة, ولم يختلفوا بعد بعثهم, وهذه أهم معالم الصحبة الراشدة أن تلتقي الأفراد فيها على الإيمان, والثبات، وكذا الربط

1- قواعد الأحكام في مصالح الأنام: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم ، الملقب بسلطان العلماء، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد ،مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، دار الكتب العلمية – بيروت، ودار أم القرى – القاهرة)طبعة: جديدة مضبوطة منقحة، 1414 هـ - 1991 م (222/1).

2- تفسير السعدي (74/1).ينظر ما بعدها.

3- انظر تفسير الطبري بتصرف يسير (2/ 212).

عَلى قُلُوبِهِمْ، بحفظها على الإيمان، والهمهم الصبر حتى ثبتوا على دينهم.[1]، قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية الكريمة : " وشملت كلبهم بركتهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال ، وهذا فائدة صحبة الأخيار فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن.[2]

وقيل إنه كان لهم ملك جبار كان يدعو الناس إلى عبادة الطواغيت، فثبت الله هؤلاء الفتية وعصمهم حتى قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السماوات والأرض. وهؤلاء الفتية ، زادهم هدى بالتثبيت والتوفيق، وربط على قلوبهم وقواها بالصبر على هجر الأهل والأوطان، وفراق الخلان والأخدان، وكل هذا آثار الطمأنينة والسكينة والربط على القلوب، فنص على الطمأنينة بالتثبيت،إذ ربط قلوبهم أي ثبتهم على الإيمان.[3]

وللطمأنينة أسباب كما ذكرها تبارك وتعالى :

- **الأولى:** الثبات، وقد دل عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾الصف: 4] .
- **الثانية:** ذكر الله كثيرا، وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾الرعد: 28]
- **الثالثة:** طاعة الله ورسوله، ويدل لها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾محمد: 20 – 21] .
- **الرابعة:** عدم التنازل والاعتصام والألفة، ويدل عليها قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾آل عمران: 103]

وهذه الآيات المذكورة نصوص صريحة في أن الإيمان يزيد، مفهوم منها أنه ينقص أيضا، كما استدل بها البخاري رحمه الله على ذلك، وهي تدل عليه دلالة صريحة لا شك فيها.[4]

المحور الثاني: صحبة الصالحين :-

1- انظر تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي): أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي, دار ابن حزم – بيروت, الطبعة: الأولى، 1416هـ/ 1996م, (240/2).

2- تفسير ابن كثير (144/5).

3- انظر فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني, دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت, الطبعة: الأولى – 1414 هـ, بتصرف يسير (324/3).

4- انظر أضواء البيان للشنقيطي, مرجع سابق, (214/3).

تستعرض السورة انموذجاً أخر يمثل الصاحب الأوفى والحِب الأسمى الذي لا يجد الإنسان حرجاً أن يذكر له همومه, وأن يستشيره في أدق أموره, وهذه لا تكون إلا بين مؤمنين صادقين كما في قوله تعالى:﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾الآية: 28],وفي الآية الكريمة أمر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يصبر نفسه، أي: يحبسها مع المؤمنين الذي يدعون ربهم أول النهار وآخره مخلصين له، لا يريدون بدعائهم إلا رضاه جل وعلا.[1]وذلك لأهمية الصحبة الصالحة، فهي من أهم الأمور في الدعوة إلى الله عز وجل. فإن الدعوة إلى الله تحتاج إلى صحبة صالحة ؛ حتى ولو كانوا أقل حالاً ومنزلةً وعلماً ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أعلى الخلق منزلة، وهو أقربهم إلى الله عز وجل، وأشدهم علماً بالله سبحانه وتعالى، وأشدهم له خشية؛ ومع ذلك أُمر بأن يصبر نفسه معهم؛ وذلك لأنهم يخلصون نيتهم لله عز وجل، فإنّ القرب من المخلصين من دقائق نعيم أهل الجنة؛ ولذا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه وهو في النزع الأخير الرفيق الأعلى، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا مَرِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَرَضَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى»[2]والرفيق جمَاعَة الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِم الصَّلَاة وَالسَّلَام الَّذين يسكنون أَعلَى عليين كما هو عند أهل العلم,[3]وهذا مما يدل على أهمية ومكانة الصحبة الصالحة.

وقد نزلت هذه الآية الكريمة في فقراء المهاجرين كعمار، وصهيب، وبلال وابن مسعود ونحوهم لما أراد صناديد الكفار من النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أن يطردهم عنه ويجالسهم بدون حضور أولئك الفقراء المؤمنين، فأمره هنا بأن يصبر نفسه معهم, فأمره بألا يطردهم، وأنه إذا رآهم يسلم عليهم وذلك في قوله: و﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾الأنعام: 52]– إلى قوله – ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ[4]﴾الأنعام: 52]–وهي معايير يجب أن يمتثلها كل فرد في اختيار من يصاحب, فإن الإنسان لو التزم مع قوم خير منه يرفع بهم ويلحق بهم لقوله تعال ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ يوسف:101]

1- انظر المرجع السابق (263/3).

2- صحيح البخاري باب مرض النبي صلى الل عليه وسلم ووفاته واللفظ له (10/4) (4436)، ومسلم باب رقية المريض (1721/4)(2191).

3- عمدة القاري للعيني, مرجع سابق, (186/16).

4- أسباب نزول القرآن, أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي تحقيق: كمال بسيوني زغلول, دار الكتب العلمية – بيروت, الطبعة: الأولى، 1411 هـ, (219).

ويحشر معهم للحديث(«المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[1]فينبغي على الإنسان أن يبحث عن قوم خير منه علما وعملا ودعوة فيرتفع بهم ويرتفعون به ويكون بذلك قد دفع نفسه إلى أهم معينات الثبات على الحق, ويؤكد هذا المعنى الحديث (لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ)[2]ولعل هذا يتوافق مع ما قاله ابن عطاء السكندري[3]"لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله."[4]والعرب تقول (المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه)[5].وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾الآية: 28]، وفي الحديث(الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ).[6]

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً"[7].

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث: " فيه فضيلة مجالسة الصالحين، وأهل الخير والمروءة، ومكارم الأخلاق، والورع، والعلم، والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع، ومن يغتاب الناس، أو يكثر فجره وبطالته، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة "[8]

و ذكر الإمام الغزالي– رحمه الله– شروط الصاحب فقال: ينبغي أن يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال: أن يكون عاقلاً، حسن الخُلق، غير فاسق، ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا.[1]

1– صحيح البخاري , باب علامة الحب في الله, (6168), (39/8).

2– سنن الترمذي, باب ما جاء في صحبة المؤمن, (2395) (178/4).

3– ابن عطاء الله الاسكندري, تاج الدين احمد بن محمد بن عطاء الله الاسكندراني، الزاهد المذكور تلميذ الشيخ أبي العباس المرسي.كان ينتفع الناس بإشاراته, مات سنة تسع وسبعمائة. وله موقع في النفس وجلالة، ومشاركة في الفضائل.(انظر طبقات الأولياء: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي ،تحقيق: نور الدين شريبه من علماء الأزهر، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، الطبعة: الثانية، 1415 هـ – 1994, ص421).

4– عدة المريد الصادق, شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، تحقيق: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني, دار ابن حزم, الطبعة: الأولى، 1427 هـ – 2006 م, (ص 150).

5–جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب, أحمد الهاشمي (61/1).

6– سنن أبي داوود , باب من يؤمر أن يجالس(259/4) رقم(4833).

7– صحيح البخاري, باب في العطار وبيع المسك(63/3) رقم (2101)، وصحيح مسلم(2026/4) رقم (2628)، واللفظ له.

8– شرح النووي على مسلم, مرجع سابف, (5/ 484).

المحور الثالث: صحبة موسى والخضر عليهما السلام:

صحبة موسى – عليه السلام – مع الخضر , تمثل أُنموذجا لصحبة العلماء قال تعالى ﴿فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾الآية :65] وهذا هو الخضر، عليه السلام، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.[2]وفي صحيح البخاري:(إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئل: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ قَالَ: أَنَا. فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: إِنَّ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. فَقَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ لِي بِهِ؟ قَالَ: تَأْخُذُ مَعَكَ حُوتًا، تَجْعَلُهُ بِمِكْتَلٍ، فَحَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ. فَأَخَذَ حُوتًا، فَجَعَلَهُ بِمِكْتَلٍ , ثُمَّ انْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ بِفَتَاهُ...الحديث)[3]وقد ثبت أيضا في صحيح البخاري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(إِنَّمَا سُمِّيَ الخَضِرَ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ) [4]

قال تعالى﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾الآية:76]وفيه أربعة أوجه: أحدها: فلا تتابعني. و**الثاني:** فلا تتركني أصحبك , قاله الكسائي.

والثالث: فلا تصحبني. **والرابع:** فلا تساعدني على ما أريد. ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذراً﴾ قد اعتذرت حين أنذرت.[5]

فقد عدل إلى المبادرة باشتراط ما تطمئن إليه نفس صاحبه بأنه إن عاد للسؤال الذي لا يبتغيه صاحبه فقد جعل له أن لا يصاحبه بعده فبتركه الوفاء بالشرط حرم بركة صحبته واستفادة العلم من جهته.[6]

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كانت الأولى من موسى نسيانا، والثانية شرطا»[7]، فاحتمل كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم الاحتمالين المذكورين.وأنصف موسى إذ جعل لصاحبه العذر في ترك مصاحبته في الثالثة تجنبا لإحراجه.[8]

1- إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي , دار المعرفة – بيروت, (171/2).

2- تفسير ابن كثير (175/5).

3- صحيح البخاري, باب حديث الخضر مع موسى – عليهما السلام (154/4) رقم (3401).

4-المرجع السابق (156/4) (3402).

5- النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي ، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ،دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان, (330/3).

6- انظر فيض القدير للمناوي, مرجع سابق, (140/15)

7- صحيح البخاري باب ما يستحب للعالم إذا سأل أي الناس (122)(35/1)

8- التحرير والتنوير لابن عاشور, مرجع سابق, (6/16).

وقصة موسى –عليه السلام – مع العبد الصالح ﴿ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ﴾ وهي الثالثة إلى قوله ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذراً﴾ ويستنبط من قصة موسى والخضر أنها تدل على فوائد وأحكام منها : استحباب ابتداء الإنسان بنفسه في الدعاء, وفضل العلم والأدب مع العالم وحرمة المشايخ وترك اعتراض الكبير على أكبر منه ولا يبادره بالإنكار حتى يكشف له قناع ما لديه قال بعضهم: هذا أصل كبير للتسليم في كل ما جاء عن الشرع وإن لم تظهر حكمته للعقول.[1]

فإن هذه المحاور التي تناولتها السورة الكريمة تمثل لنا نماذج للصحبة عموماً الصالحة والسيئة وكل واحدة لها أثرها على الصاحب فينبغي للفرد ان يتخير منها الصحبة التي تؤثر في حياته وتصقل شخصيته , وتؤثر في سلوكه وانفعالاته وتوجهاته إلى ما هو خير له في دينه ودنياه.

و هناك أمور نفسيه واجتماعية وثقافية لايجدها الإنسان إلا في ظل الصحبة الصالحة والمناخ الصالح حيث يجني ثمار حسناتها إن كانت صالحة ، فإما صاحب الدين فانه يؤثر في سلوكيات صاحبه، وتوجهاته ،و أخلاقه كما جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم:(إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ)[2]ولا يخفى أن ثمرة الصحبة الصالحة حسن الخلق وثمرة حسن الخلق الألفة وفي الحديث الْمُؤْمِنُ مَأْلَفَةٌ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ).[3]

فالصحبة الصالحة تنتج إنساناً صالحاً, بخلاف الصحبة السيئة التي تردي صاحبها في الهلاك فتؤثر على الأسرة والمجتمع, فالصاحب الذي لا يتقي الله متقلب حسب المصلحة وبذلك يهلك نفسه ويهلك من يصاحبه بل أنه غير مؤتمن على هذه الصحبة لأن الصحبة أمانه كما في الحديث (الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ).[4]

1- انظر النووي على شرح مسلم (15/ 148-144).

2- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ، د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م, (513/14).

3-المرجع السابق (492/37) (22840).

4- سنن أبي داود, مرجع سابق, (268/4).

المبحث الخامس

المعين الرابع العمل الصالح

إن العمل الصالح من أهم معينات الثبات على الحق , ومن سماحة الدين الإسلامي أنه لا يفرق بين أحد وغيره إلا بالعمل الصالح, وهو يقتضي إخلاص القصد لله، ويكون المرء محسن بالعمل الصالح المأمور به فلا يعبد إلا الله، ولا يعبده إلا بما شرعه كما قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾البقرة: 112] فالنية الصالحة هي أول العمل الصالح وأول العطاء من الله تعالى وهو مكان الجزاء،لأن الأصل في العمل خلوص النية لله تعالى واتباع ما شرع ولا يعبد بالبدع.[1] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ».[2]

والعمل الصالح هو ما استكمل ثلاثة أمور:

الأول: أن يكون مبنيا على أساس العقيدة الصحيحة([3]) ; ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً ﴾النحل: 97]

الثاني: أن يكون خالصا لله تعالى; ودليله قوله تعالى: ﴿وَما أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ **البينة :5].**

الثالث: موافقته لما جاء به النبي – صلى الله عليه وسلم – ; ودليله قول الله تعالى:﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ آل عمران: 31].

وقد ورد العمل الصالح المعين على الثبات على الحق في هذه السورة الكريمة في عدة مواضع مرتبطة بالجزاء المترتب على العمل كما جاء في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ الكهف: 3] وَمَعْنَى مِنْ لَدُنْهُ أن الجزاء صَادِرٌ مِنْ عِنْدِهِ سبحانه وتعالى.

وأيضا في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾الآية: 30] إن الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بطاعة الله، وانتهوا إلى أمره ونهيه، إنا لا نضيع ثواب من أحسن عملا، فأطاع الله، واتبع أمره ونهيه، فيجازيه بطاعته وعمله الحسن جنات عدن تجري من تحتها الأنهار.[4] ولا يترك العمل الصالح خشية دخول الآفة فإن دخلت عليه علّة وضع عليها دواءها فعمل في نفيها وإزالتها وثبت على حسن نيته وصالح معاملته، ولا

1- أنظر الفتاوى الكبرى لابن تيمية, مرجع سابق, (206/1).

2- صحيح البخاري, باب نقض الأحكام الباطلة ورد المحدثات(1718),(1343).

3- أضواء البيان للشنقيطي (240/2).

4- تفسير الطبري (254/15).

يدع عملاً لأجل الخلق حياء منهم وكراهة واعتقادهم فضله.[1]وقال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾المائدة: 92] .إن الشرع إنما جاء بالتعبد، وهو المقصود من بعثة الأنبياء –عليهم السلام–[2]ولا شك أن الإيمان ينقص بنقص العمل، ويزيد بزيادته.

وفي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾الآية: 46] فالباقيات الصالحات جميع أعمال الخير يدخل فيها الصلوات الخمس, وذكر الله بالتسبيح والتقديس والتهليل، والعمل بطاعة الله ونحو ذلك،.[3]

وكذلك قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾الآية: 88] أما من صدَّق الله منهم ووحَّده، وعمل بطاعته، فله عند الله الحسنى، وهي الجنة يعني ثوابا على إيمانه، وطاعته ربه.[4] فإن من كان في طاعة ربه جل وعلا يقوي قلبه، ويثبته على تحمل الشدائد, فالثبات على الحق يلزم استعمال الطاعات والفضائل وهذا الحد ينطوي فيه اجتناب المعاصي والرذائل.[5]

قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾الآية: 108]

ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أن الأعمال الصالحة والإيمان سبب في نيل جنات الفردوس فإن الذين صدَّقوا بالله ورسوله، وأقروا بتوحيد الله وما أنزل من كتبه وعملوا بطاعته، كانت لهم بساتين الفردوس، والفردوس معظم الجنة وفي تأويلها خلاف بين أهل العلم، فمنهم من ذهب إلى أنها أفضل الجنة وأوسطها ومنهم من قال هي ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها ، وقيل فيها الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر[6]روى أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ»[7]

1– قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد, محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي , تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي, دار الكتب العلمية – بيروت / لبنانلطبعة: الثانية، 1426 هـ –2005 م (254/2).

2– الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م, (74/1).

3– تفسير الطبري (274/15).

4– المرجع السابق(379/15).

5– انظر الأخلاق والسير في مداواة النفوس, أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري , دار الآفاق الجديدة – بيروت, الطبعة: الثانية، 1399هـ – 1979م,(ص58).

6– تفسير الطبري (430/15– 433).

7– صحيح البخاري,باب درجات المجاهدين في سبيل الله (2790),(16/4).

وفي آخر السورة قال تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾الآية: 110] يشمل كونه يأمل ثوابه، ورؤية وجهه الكريم يوم القيامة، وكونه يخشى عقابه، أي: فمن كان راجيا من ربه يوم يلقاه الثواب الجزيل والسلامة من الشر فليعمل عملا صالحا.[1]

وجاء في أسباب نزول هذه الآية الكريمة أنها نزلت في جُنْدُبِ بْنِ زُهَيْرٍ الْعَامِرِيِّ قال يا رسول الله ((إِنِّي أَعْمَلُ الْعَمَلَ لِلَّهِ فَإِذَا اطُّلِعَ عَلَيْهِ سَرَّنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَلَا يَقْبَلُ مَا شُورِكَ فِيهِ"[2]ويرى الألوسي تفسير الرجاء بالطمع أولى، وكذا كون المرجو الكرامة والبشرى ، فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ الرجاء طمع حصول ما فيه مسرة في المستقبل ويستعمل بمعنى الخوف ، وفي الآية الكريمة قدّم الأمر بالعمل الصالح على النهي عن الشرك حتى لا يدخله رياء.[3]

أوجه العمل الصالح في القرآن الكريم وهي كثيرة منها :

- ❖ الإيمان وهو أساس العمل ، والعمل صفة عظيمة في الثبات والطاعة، فإن المؤمن لا يفعل إلا ما أمر به.[4]وَقد سَمَّى النبي صلى الله عليه وسلم الإيمَانَ عَمَلًا كما روي عن أَبي ذَرٍّ، (سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ)[5]
- ❖ الإحسان. ومنه قوله تعالى في هود: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ الآية:88]. .
- ❖ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومنه قوله تعالى في هود: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾هود: 117]، أي: يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.
- ❖ أداء الأمانة. ومنه قوله تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾آل عمران:77.

ولقد ورد العمل الصالح في السنة النبوية الشريفة بمعاني وألفاظ متنوعة منها ما هو مطلق ومنها ما هو مقيد .

كما ورد في القصد والمداومة على العمل ، وإن قل خشية الانقطاع عن العمل الكثير وأن مقصود الشارع في الأعمال دوام المكلف عليها، والدليل على ذلك قوله تعالى:﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾البقرة: 3]وقوله: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ المعارج: 22–23].قال

1– أضواء البيان للشنقيطي(356/3).

2– أسباب النزول للواحدي (ص307).

3– انظر روح المعاني للألوسي (2/ 373).

4–تفسير ابن كثير454/4

5– صحيح البخاري,بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: 96](160/9).

النبي صلى الله عليه وسلم خُذُوا مِنَ العَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا» [1]ولأجل الدخول في الفعل على قصد الاستمرار وضعت التكاليف على التوسط وأسقط الحرج، ونهي عن التشديد، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ رَبِّكَ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا سَفَرًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى"[2]، وقال: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا"[3]، وهذا يشمل التشديد بالدوام، كما يشمل التشديد بأنفس الأعمال، والأدلة على هذا المعنى كثيرة.[4]منها ماروي عن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه أتاه رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالحَدِيدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ؟ قَالَ: «أَسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ»، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَاتَلَ، فَقُتِلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا)[5]. وفى هذا الحديث دليل أن الله يعطى الثواب الجزيل على العمل اليسير تفضلا منه على عباده، فاستحق هذا نعيم الأبد في الجنة بإسلامه، وإن كان عمله قليلا؛ لأنه اعتقد أنه لو عاش لكان مؤمنًا طول حياته فنفعته نيته، وإن كان قد تقدمها قليل من العمل.[6]

وفي قوله تَعَالَى ﴿وَكَانَ أَبوهُمَا صَالحا﴾فصَلَاحه مقتضيا لرعاية ولديه وَحفظ مَالهمَا ، وَفِيه مَا يدل على أَن الله يحفظ الصَّالح فِي نَفسه وَفِي وَلَده وَإِن بعُدوا كما روي عن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم إِنَّ اللهَ لِيُصْلِحُ بِصَلَاحِ الْعَبْدِ وَلَدَهُ، وَوَلَدَ وَلَدِهِ، وَيَحْفَظُهُ فِي دُوَيْرَتِهِ، وَالدُّوَيْرَاتِ الَّتِي حَوْلَهَا، مَا دَامَ.[7]وجعل العمل الصالح من أبر الأصحاب[8]

1- المرجع السابق "كتاب الصوم، باب صوم شعبان، 4/ 213/ (1969)

2- السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي المحقق: محمد عبد القادر عطا, دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات, الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 باب القصد في العمل, والجهد في المداومة(4744),(28/3).

3- صحيح البخاري, باب الدين يسر(39),(16/1).

4-نظر في هذا: "مجموع فتاوى ابن تيمية(10/ 623)

5 – صحيح البخاري, باب عمل صالح قبل القتال, (2808),(20/4).

6- شرح صحيح البخارى لابن بطال: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ،تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2003م, (24/5)

7- السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي, مؤسسة الرسالة – بيروت, الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م, كِتَابُ الْمَوَاعِظِ (11866),(408/10).

8- روضة المحبين ونزهة المشتاقين : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: 1403هـ/1983 م, (403)

قال ابن القيم " فإن العمل الصالح هو ثمرة العلم النافع، الذي هو ثمرة التفكر"[1] وأن روح العلم هو العمل.

إن العمل الصالح هو الذي به الطهارة من الذنوب والمعاصي ، وهو الوسيلة في القربات إلى الله ، وقد ورد في سورة الكهف في سبعة مواضع ، فجاء في أول السورة مرتبطا بالبشري ، وإن الله سبحانه لا يضيع أجر العمل الصالح ، و خير الثواب ثواب العمل الصالح ، وهو سبب في حفظ الذرية ، وثوابه الجنة ، فتدرجت البشري لأصحاب العمل الصالح إلى أن وصلت في ختام السورة الكريمة إلى أن كان مستقرهم أعلى الجنة وهي الفردوس. ثم الظفر والفوز بلقاء الله عز وجل.

فالعمل الصالح هو ثمرة الإيمان الذي انغرست جذوره في قلب المؤمن، يبلغ به أقصى درجات الفلاح والإيمان في قلب المؤمن، كمثل الشجرة الطيبة تنبت أطيب الثمار.

المبحث السادس

المعين الخامس الذكر والدعاء

افتتحت السورة الكريمة بالحمد فعلَّم المولى عز وجل عباده كيف يحمدونه على إفاضة نعمه عليهم، وكان الافتتاح بهذا التحميد في هذه السورة كموقع الخطبة التي يفتتح بها الكلام في الغرض المهم.[2]

ثم ذكر سبحانه قصة أهل الكهف فدعوا الله أن يؤتيهم رحمة من لدنه، وذلك جامع لخير الدنيا والآخرة, ثم سألوا الله أن يقدر لهم أحوالا تكون عاقبتها حصول ما خولهم من الثبات على الدين الحق والنجاة [3]﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ أي تثبتنا بها وتحفظنا من الشر، وتوفقنا للخير فجمعوا بين السعي والفرار من الفتنة ، وبين تضرعهم وسؤالهم لله تيسير أمورهم، وعدم اتكالهم على أنفسهم وعلى الخلق، فلذلك استجاب الله دعاءهم، وقيض لهم ما لم يكن في حسابهم [4]

أنَّ ذِكر الله ودعاءه هو خير ما أُمضيت فيه الأوقات وصُرفت فيه الأنفاس، وأفضل ما تقرّب به العبدُ إلى ربّه سبحانه وتعالى.[5] قال تعالى في السورة الكريمة ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ الآية: 24] واذكر ربك إذا تركت ذكره، لأن أحد

1- مدراك السالكين لابن القيم (443/1).

2- انظر فتح القدير للشوكاني (319/3) ، التحرير والتنوير لابن عاشور (246/15).

3- التحرير والتنوير لابن عاشور (266/15).

4- تفسير السعدي (ص 471).

5- الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ،دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، 1393 هـ - 1973 م, (127).

معاني النسيان في كلام العرب الترك[1]ويؤخذ من عموم قوله: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ الأمر بذكر الله عند النسيان، فإنه يزيله، ويذكر العبد ما سها عنه، وكذلك يؤمر الساهي الناسي لذكر الله، أن يذكر ربه، ولا يكونن من الغافلين.[2]وقد ذمَّ الغفلة الله عن ذكرِه, فأمر بذكره في القرآن الكريم، وحثَّ عليه ورغّب فيه في آياتٍ كثيرةٍ منه، وحذّر أيضا من الوقوع في ضدّه وهو الغفلة، إذ لا يتمُّ الذِّكرُ لله حقيقةً إلاّ بالتخلُّص منها والبعد عنها، وقد جمع الله بين هذين الأمرين في آية واحدة من القرآن وذلك في قوله تعالى من آخر سورة الأعراف: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُنْ مِنَ الغَافِلِينَ﴾الآية :205] وكذلك ورد في هذه السورة الكريمة قوله ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ نهى الله جل وعلا نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية الكريمة عن طاعة من أغفل الله قلبه عن ذكره واتبع هواه[3] والمراد بإغفال القلب جعله غافلا عن الفكر في الوحدانية, وأصل الإغفال: إيجاد الغفلة، وهي الذهول عن تذكر الشيء, وأريد بها البعد عن الله تعالى واتباع الهوى[4]

وذكر تبارك وتعالى على لسان صاحبي الجنتين فقال عز وجل ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ الآية :39]وفي الآية دليل على أنّ الذكر تحفظ به النعم ، وجاء في الحديث الدعاء عند رؤيتها فإذا دخل أحد داره أو رأى في ماله وأهله ما يعجبه أن يبادر إلى هذا الدعاء، فإنه لا يرى فيه سوءاً[5]، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ، أَوْ وَلَدٍ، فَقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَيَرَى فِيهِ آفَةً، دُونَ الْمَوْتِ» [6] .

قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ بذكرهم إياه بالتسبيح والتحميد والتهليل والدعاء والأعمال الصالحة من الصلوات المفروضة وغيرها يُرِيدُونَ بفعلهم ذلك وجهه عز وجل لا يريدون عرضا من عرض الدنيا.[7]

1- تفسير الطبري(646/17).

2- تفسير السعدي(474).

3- أضواء البان للشنقيطي (264/3).

4- التحرير والتنوير لابن عاشور(306/15).

5- الوابل الصيب من الكلم الطيب: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ،تحقيق: سيد إبراهيم ، دار الحديث – القاهرة، رقم الطبعة: الثالثة، 1999 م,(115).

6- المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد , عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني, دار الحرمين – القاهرة, (4261) (301/4).

7- المرجع السابق (5/18).

أهميّةُ الذِّكر والدعاء وفضلهما

وللذكر والدعاء أهميّةُ عظيمة وفائدة جليلة ؛ وقد أمر الله به في القرآن الكريم في مواطن كثيرة، ورغّب فيه، ومدح أهله وأثنى عليهم إذ هو من أجلِّ المقاصد وأنفع الأعمال المقرّبة إلى الله تعالى. يقول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾الأحزاب:41]، ويقول تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً﴾البقرة: 200]، ويقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾النساء:191]، ويقول تعالى: ﴿وَالذَاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾الأحزاب:35]. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: "سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ» قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ»"[1]ولفظ الذكر عام يتناول قراءة القرآن وقراءة العلم، ووعظ الناس والصلاة ، فيتناول المكتوبة والنافلة..[2]

أنواع الذكر ثلاثة: وهي ذكر أسماء الله وصفاته، والثناء على الله بها، وتوحيده بها .. وذكر الأمر والنهي .. وذكر الآلاء والنعماء.[3]

الشروط التي ينبغي أن تتوافر في الذكر والدعاء ليكون مقبولاً عند الله عزَّ وجلَّ.

الشرط الأول: الإخلاص:وهو تصفية الدعاء، والعمل من كل ما يشوبه.

الشرط الثاني: المتابعة :وهي شرط في جميع العبادات، لقوله تعالى: {﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

الشرط الثالث: الثقة بالله تعالى، واليقين بالإجابة.[4]

الشرط الرابع:حضور القلب والخشوع والرغبة فيما عند الله من الثواب والرهبة مما عنده من العقاب.

الشرط الخامس: العزمُ والجَزمُ، والجِدُّ في الدعاء: ومما يدل على ذلك نهى النبي – صلى الله عليه وسلم – عن الاستثناء في الدعاء، فعن أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله –

1- صحيح مسلم باب الحث على ذكر الله (2676) (2062/4).

2- عمد القارئ , مرجع سابق, (126/3).

3- موسوعة فقه القلوب: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري ، بيت الأفكار الدولية, (2836/3)

4- انظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ،البغدادي، ، الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجسمؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، 1422هـ – 2001م(2/ 407)، ومجموع فتاوى ابن باز جمع الطيار،(1/ 258) .

صلى الله عليه وسلم –: " إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمْ فِي الدُّعَاءِ، وَلَا يَقُلْ: اللهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّ اللهَ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ)[1]

موانع الدعاء : وللدعاء موانع من الاستجابة ومنها:

1/ التوسع في الحرام: أكلاً، وشرباً، ولبساً، وتغذية.عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: في قوله تعالى﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: 51] وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ البقرة: 172] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ "[2]

2/ **الاستعجال وترك الدعاء:** ومما يدل عليه ما روي عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي "[3]

3/ **ارتكاب المعاصي والمحرمات**.[4]

أما الذكر فلم يشترط له شروط بعينها والمؤمن يذكر الله على كل حال. ومما يدل على ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت(كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ.[5]

بيان فضلُ الأذكار والأدعيَّة المأثورةِ :

و فضائلهما كثيرة منها :

أ/ أنهما يستعملان لتقوية الحضور مع الله، وفيهما رعاية لمصلحة القلب، ولحفظ الأدب مع الله والتحرز من الغفلة، والاعتصام بالله من الشيطان وشر النفس.

ب / اشتمالِهما على غاية المطالب العالية، وكمال المقاصد النبيلة.

ج/ فيهما التضرُّعُ إلى الله وإظهارُ الضعف والحاجة إليه.

د/ وهما أقربُ العبادات إلى حصول المقصود .

هـ/ وأنّهما ملازمّان للتوكُّل والاستعانةِ بالله، فإنَّ التوكُّلَ هو الاعتمادُ بالقلب على الله والثقةُ به في حصول المحبوبات واندفاع المكروهات.[1]

1- صحيح مسلم باب العزم على الدعاء ولا يقل إن شئت (2678)(2063/4).

2- صحيح مسلم قبول الصدقة من الكسب الطيب (1015)(703/2).

3- صحيح البخاري باب يستجاب ما لم يعجل (6340)(74/2)

4- جامع العلوم والحكم،لابن رجب, مرجع سابق (1/ 275).

5 – صحيح مسلم, باب ذكر الله حال الجنابة, (373),(282/1).

ومِن ذلك أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يُصوِّبُ من يخطئ منهم ولو في لفظ من ألفاظ الذِّكر والدعاء، كما في الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: " قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ ".[2]

قال الحافظ في الفتح: " وأولى ما قيل في الحكمة في ردّه صلى الله عليه وسلم على من قال الرسول بدل النبيّ أنَّ ألفاظ الأذكار توقيفيّة، ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس، فيجب المحافظة على اللّفظ الذي وردت به " [3]

ومن ذلك أيضاً أنَّ الإنسان قد يختار لنفسه صيغةً معيَّنةً من الدعاء يرى أنَّ فيها تحقيق سعادته في الدنيا والآخرة، ويخفى عليه ما قد تتضمّنه من شرٍّ أو خطر إمّا في الدنيا أو الآخرة.

والهدف من الذكر والدعاء هو إحياء جميع ما جاء به النبي – صلى الله عليه وسلم – من الإيمان بالله، وتوحيده، وحسن عبادته، والتزام شرعه، وطاعته وطاعة رسوله – صلى الله عليه وسلم –. والذكر روح الأعمال الصالحة، فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه.

1- فقه الأدعية والأذكار: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الكويت، الطبعة: الثانية, 1423هـ/2003م,و (13/2). مجموع الفوائد واقتناص الأوابد: عبد الرحمن ناصر السعدي,وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية, قطر, 1432- 2011م, (ص:46) .

2- صحيح البخاري باب فضل من بات على وضوء (247)(58/1).

3- فتح الباري لابن حجر (358/1).

خاتمة

الحمد لله، الّذي يسر بكرمه ومنِّه، إنجاز هذا البحث، وأعان بقدرته على تجاوز عقباته، وما عرض من صعابه، فالحمد لله الّذي بنعمته تتم الصالحات.

وفي هذه الخاتمة – نسأل الله حسنها – أذكر ملخصًا لهذا البحث يعطي فكرة واضحة عن مضمونه، آمل أن يكون خالصا لوجهه الكريم، نافعا لمن يقرؤه ويطلع عليه ويجد فيه، في موضوعه: معينات الثبات على الحق في سورة الكهف, وتوضح الخاتمة أهم النتائج الّتي توصلت إليها, والتي يغلب على ظني أنّها جديرة بالذكر في هذا المقام.

وهذه النتائج –في الحقيقة– تكشف عن سمات هذا البحث وأصوله العامة، وتعطي للقارئ تصورًا عامًا وسريعًا لما اشتمل عليه، وبيان ذلك على النحو التالي:

نتائج البحث

- إن الإيمان لا يصدر إلا عن كمال الثبات والرزانة وترك الهوى وقمع رعونات النفس والانقياد لواضح الأدلة وظاهر البراهين، فمن تركه مع ذلك فهو في غاية الطيش والخفة وعدم العقل.
- إن الثبات على الحق هو شأن الأخلاق، وثمرتها.
- سورة الكهف قد– ساقت– بأسلوبها البليغ الذي يغلب عليه طابع القصة– ألوانا من التوجيهات السامية، التي من شأنها أنها تهدى إلى العقيدة الصحيحة، وإلى السلوك القويم. وإلى الخلق الكريم، وإلى التفكير السليم الذي يهدى إلى الرشد، وإلى كل ما يوصل إلى السعادة في الدنيا والآخرة.
- إن تعاهد القرآن بالتلاوة, والتدبر, يجعل الإنسان يقف على كثير من المواقف والقصص التي تعينه على الثبات.
- من لا صبر له, لا يدرك العلم, ومن استعمل الصبر ولازمه, أدرك به كل أمر سعى فيه, لقول الخضر – يعتذر عن موسى بذكر المانع لموسى في الأخذ عنه: إنه لا يصبر معه.
- إنَّ الذكر والدعاء هما أساسُ العبودية وروحُها، وعنوانُ التذلُّل والخضوع والانكسار بين يدي الله، وإظهارِ الافتقار إليه، ولهذا حثَّ الله عبادَه عليه، ورغَّبهم فيه .

فهرس المصادر

1- الإتقان في علوم القرآن : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،الطبعة: 1394هـ/ 1974 م

2- الإحكام في أصول الأحكام: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد الآمدي ، تحقيق عبد الرزاق عفيفي ، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان.
3- الإحكام في أصول الأحكام: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري تحقيق، الشيخ أحمد محمد شاكر والأستاذ الدكتور إحسان عباس ، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
4- إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي , دار المعرفة – بيروت.
5- الأخلاق والسير في مداواة النفوس, أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري , دار الآفاق الجديدة – بيروت, الطبعة: الثانية، 1399هـ - 1979م.
6- أسباب نزول القرآن, أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي تحقيق: كمال بسيوني زغلول, دار الكتب العلمية – بيروت, الطبعة: الأولى، 1411 هـ
7- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي , دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان, 1415 هـ - 1995 مـ.
8- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي الناشر: دار العلم للملايين ، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م.
9- أَفْعَال الرَّسُول صلى الله عليه وسلم وَدَلاَلَتَهَا عَلَى الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ : محمد بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي ، مؤسسة الرسالة للطباعه والنشر والتوزيع، بيرت – لبنان ، الطبعة: السادسة، 1424 هـ - 2003 م.
10- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي), تحقيق: صدقي محمد جميل, دار الفكر – بيروت, الطبعة: 1420 هـ
11- البداية والنهاية, أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي , دار الفكر, 1407 هـ - 1986 م.
12- البدعة الشرعية: أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي ، المكتبة الشاملة، مصر،الطبعة: الأولى، 1432 هـ - 2011 .
13- البرهان في علوم القرآن, أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ، الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م.

14- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز, مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى, تحقيق: محمد علي النجار, المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة .
15- البيان في عدّ آي القرآن, عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني تحقيق: غانم قدوري الحمد, مركز المخطوطات والتراث – الكويت, الطبعة: الأولى، 1414هـ-1994م.
16- تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي تحقيق: مجموعة من المحققين: دار الهداية.
17- التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، الدار التونسية للنشر – تونس:1984 هـ.
18- التحصين من كيد الشياطين د خالد بن عبد الرحمن بن علي الجريسي، دراسة تأصيليَّة مستفيضة لقضايا: (العين، والحسد، والسحر، والمسِّ وغيرها
19- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى, دار الكتب العلمية – بيروت.
20- تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي ،تحقيق، د سيد عبد العزيز – د عبد الله ربيع، ، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث – توزيع المكتبة المكية ، الطبعة الأولى، 1418 هـ - 1998 م.
21- التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه, يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، ، البصري ثم الإفريقي ,تحقيق: هند شلبي, الشركة التونسية للتوزيع, عام النشر: 1979 م.
22- التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء , دار الكتب العلمية بيروت –لبنان, الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م.
23- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي, تحقيق: سامي بن محمد سلامة, دار طيبة للنشر والتوزيع, الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 .
24- تفسير الشعراوي – الخواطر.: محمد متولي الشعراوي , مطابع أخبار اليوم.
25- تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي): أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء تحقيق:

الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي, دار ابن حزم – بيروت, الطبعة: الأولى، 1416هـ/ 1996م

26- تفسير القرآن الكريم (ابن القيم): محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان, دار ومكتبة الهلال – بيروت, الطبعة: الأولى – 1410 هـ،

27- تفسير سورة الكهف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين , دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية, الطبعة: الأولى، 1423 هـ.

28- تذكرة الصوام بشيء من فضائل الصيام والقيام وما يتعلق بهما من أحكام: عبد الله بن صالح القصير, وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعوديةالطبعة: الثانية، 1421هـ .

29- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ،تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ،مؤسسة الرسالة ،الطبعة: الأولى 1420هـ – 2000 م

30- الجامع لأحكام القرآن, تفسير القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي, تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش, دار الكتب المصرية – القاهرة,الطبعة: الثانية، 1384هـ – 1964 م

31- جامع البيان في تأويل القرآن : محمد بن جرير الطبري تحقيق: أحمد محمد شاكر, مؤسسة الرسالة, الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م.

32- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، السَلامي، البغدادي، ، الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجسمؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، 1422هـ – 2001م.

33- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه =: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)الطبعة: الأولى، 1422هـ

34- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب, أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي , مؤسسة المعارف، بيروت.

35- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر,محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (412/2).

36- رسائل ابن حزم الأندلسي: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ، تحقيق: إحسان عباس, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت – لبنان, الطبعة: 1، 1981.

37- روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي , المولى أبو الفداء , دار الفكر – بيروت.

38- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني, شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي , تحقيق: علي عبد الباري عطية, دار الكتب العلمية – بيروت, الطبعة: الأولى، 1415 هـ.

39- روضة المحبين ونزهة المشتاقين : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: 1403هـ/1983 م.

40- زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي تحقيق: عبد الرزاق المهدي ،دار الكتاب العربي – بيروت ,الطبعة: الأولى – 1422 هـ.

41- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو السِّجِسْتاني ، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي ،دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ – 2009 م.

42- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو تحقيق: بشار عواد معروف ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1998 م.

43- سنن الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرامالدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412 هـ – 2000 م.

44- السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي المحقق: محمد عبد القادر عطا, دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات, الطبعة: الثالثة، 1424 هـ – 2003 م

45- السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي, مؤسسة الرسالة – بيروت, الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2001 م

46- السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ،دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان1395 هـ – 1976 م.

47- سنن ابن ماجه: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – البابي الحلبي.
48- شرح سنن أبي داود: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد الحنفى بدر الدين العينى،تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري ،مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، 1420 هـ -1999 م.
49- شرح صحيح البخارى لابن بطال: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ،تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، 1423هـ – 2003م.
50- شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد, مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند, الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م
51- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت ،الطبعة: الرابعة 1407 هـ – 1987 م.
52- العين: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي, دار ومكتبة الهلال.
53- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية),دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية, الطبعة: الثالثة، 1409هـ/ 1989م
54- عدة المريد الصادق, شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، تحقيق: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني, دار ابن حزم, الطبعة: الأولى، 1427 هـ - 2006 م.
55- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي المحقق: محمد باسل عيون السود, دار الكتب العلمية ،الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996م.
56- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بدر الدين العينى،دار إحياء التراث العربي – بيروت.

57- الفتاوى الكبرى لابن تيمية, تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي , دار الكتب العلمية, الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1987م.
58- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني, دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت, الطبعة: الأولى - 1414 هـ
59- فتح القدير: كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام دار الفكر ، بدون طبعة و تاريخ.
60- الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، تحقيق محمد إبراهيم سليم, دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.
61- فضائل القرآن: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي , مكتبة ابن تيمية, الطبعة الأولى - 1416 هـ.
62- فقه الأدعية والأذكار: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الكويت، الطبعة: الثانية, 1423هـ/2003م.
63- الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ،دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، 1393 هـ - 1973 م.
64- فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين ثم المناوي القاهري ، المكتبة التجارية الكبرى - مصر ،الطبعة: الأولى، 1356.
65- قاعدة في الصبر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية , تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي, الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة, الطبعة: العدد 116 - السنة 34، 1422هـ/2002م .
66- قواعد الأحكام في مصالح الأنام: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم ، الملقب بسلطان العلماء، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد ،مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، دار الكتب العلمية - بيروت، ودار أم القرى - القاهرة)طبعة: جديدة مضبوطة منقحة، 1414 هـ - 1991 م.
67- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد, محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي , تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي, دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان, الطبعة: الثانية، 1426 هـ -2005 م.

68- طبقات الأولياء: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي ،تحقيق: نور الدين شريبه من علماء الأزهر، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، الطبعة: الثانية، 1415 هـ - 1994.
69- كشف الأسرار شرح أصول البزدوي: عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي، دار الكتاب الإسلامي ،الطبعة: بدون طبعة وتاريخ.
70- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفع بالإفريقى، دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ.
71- مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم ، دار القلم ،الطبعة: الرابعة 1426هـ – 2005م.
72- مباحث في علوم القرآن, صبحي الصالح, دار العلم للملايين: الطبعة: الطبعة الرابعة والعشرون كانون الثاني/ يناير 2000م .
73- مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم, مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية, 1416هـ/1995
74- مجموع الفوائد واقناص الأوابد: عبد الرحمن ناصر السعدي,وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية, قطر, 1432- 2011م.
75- المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث, محمد بن عمر بن أحمد ن محمد الأصبهاني ،تحقيق: عبد الكريم العزباوي, دار المدني جدة – المملكة العربية السعودية,الطبعة: الأولى (1408 هـ - 1988 م).
76- المحكم والمحيط الأعظم : أبو الحسن علي بن إسماعيل تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروتالطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م.
77- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ،تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي ،دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م.
78- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ، د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
79- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد الطهماني النيسابوري ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 – 1990.

80- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء التراث العربي – بيروت.
81- مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ،"المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى": إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1987 م.
82- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس ،المكتبة العلمية – بيروت.
83- المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد , عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني, دار الحرمين – القاهرة.
84- معجم الفروق اللغوية, أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري , تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»الطبعة: الأولى، 1412هـ.
85- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي, مكتبة ابن تيمية – القاهرة, الطبعة: الثانية
86- معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر», عادل نويهض, مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان, الطبعة: الثالثة، 1409 هـ - 1988 م.
87- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين ،تحقيق: عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر: 1399هـ - 1979م.
88- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.
89- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى تحقيق: صفوان عدنان الداودي ،دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 هـ.
90- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي فخر الدين الرازي , دار إحياء التراث العربي – بيروت, الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.

91- منازل السائرين, أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي دار الكتب العلمية – بيروت.
92- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الثانية، 1392.
93- الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م.
94- الموسوعة القرآنية، خصائص السور, جعفر شرف الدين, تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي, دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت, الطبعة: الأولى – 1420 هـ.
95- الموسوعة القرآنية: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري ،مؤسسة سجل العرب.
96- الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ،دار الفكر – بيروت.
97- موسوعة فقه القلوب: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري ، بيت الأفكار الدولية.
98- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر, جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي, تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي, مؤسسة الرسالة – بيروت, الطبعة: الأولى، 1404هـ – 1984م.
99- نفحات من علوم القرآن: محمد أحمد محمد معبد , دار السلام – القاهرة, الطبعة: الثانية،: 1426 هـ – 2005 م.
100- النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي ، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ،دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.
101- النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير , المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م, تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.
102- نهاية الوصول في دراية الأصول: صفي الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي الهندي تحقيق: د. صالح بن سليمان اليوسف – د. سعد بن سالم السويح المكتبة التجارية بمكة المكرمة ، الطبعة: الأولى، 1416 هـ – 1996 م.
103- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد القيسي المالكي ،تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي, جامعة الشارقة ،الطبعة: الأولى، 1429 هـ – 2008 م.
104- الوابل الصيب من الكلم الطيب: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ،تحقيق: سيد إبراهيم ، دار الحديث – القاهرة، رقم الطبعة: الثالثة، 1999 م.

105- الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ,تحقيق محمد عثمان, مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة, الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م
106- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي , تحقيق: صفوان عدنان داوودي, دار القلم , الدار الشامية – دمشق، بيروتالطبعة: الأولى، 1415 هـ.
107- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي,تحقيق: إحسان عباس, دار صادر – بيروت.